الدرس الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله ؛ صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. أمَّا بعد:

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى في كتاب الكبائر :

بابٌ الرشوة

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآية: [البقرة:٤١].

****

قال رحمه الله تعالى: «**بابٌ الرِّشوة**» ؛ الرِّشوة هذه كلمةٌ مأخوذةٌ من الرِّشاء، وهو الحبل الَّذي يُنْزَل في البئر ويُتوَصَّل من خلاله إلى سحب الماء الّذي يُحْتاج إليه من البئر . وأمَّا حقيقة هذه اللَّفظة في الشَّرع فالمراد بالرِّشوة: ما يُقَدَّم من مالٍ أو مصلحةٍ أو منفعة لأجل أن يُتوصَّل من خلالها هذا المدفوع إلى إحقاق باطلٍ أو إبطال حقّ.

والرِّشوةُ آفةٌ من الآفات وكبيرةٌ من الكبائر، وضررها على المجتمعات عظيم؛ لأنَّ الرِّشوة إذا وُجِدَت أذهبت المروءة، وأوجدت الفجور، وأكثرت من الظُّلم، وترتَّب عليها كذلك ضياع الحقوق، وكثرة التَّعدِّيات على النَّاس، فأضرارها على المجتمعات عظيمة جدًّا؛ لأنَّ الرِّشوة إذا وُجِدَت في مجتمع لم يستقم فيه حقّ، ولم يأمن الإنسان على مصلحةٍ من مصالحه أو حقٍّ من حقوقه؛ لأنَّ هذه الرِّشوة إذا وُجِدَت قلبت الموازين ، وأخلَّت بالأحكام، وأُهدِرَت مع وجودها الحقوق، وكَثُرَت المظالم والتَّعدِّيات، فشأن الرِّشوة خطيرٌ جدًّا، ومضرَّتها عظيمةٌ للغاية؛ ولهذا جاءت الشَّريعة بتجريمها وتحريمها وعدِّها كبيرةً من كبائر الذُّنوب ، بل جاء فيها اللَّعن والطَّرد والإبعاد من رحمة الله، كما

في الأحاديث الَّتي ساق المصنِّف رحمه الله تعالى. واللَّعن: هو الطَّرد والإبعاد من رحمة الله، ولا يكون إلاّ في الأمور الكبيرة العظيمة.

قال: «**بابُ الرِّشوة**» ؛ والرِّشوةُ محرَّمة سواءً بأن يدفعها المرء أو أن يتقبَّلها، فالرشوة محرمة ممن يدفعها وممن أيضًا يقبل الرشوة، ولهذا جاء الحديث -كما سيأتي- بلعن الرّاشي ولعن المرتشي.

قال: **وقول الله تعالى ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾** [البقرة: ٤١] وهذه الآية في عمومها تدلّ على تحريم الرِّشوة؛ لأنَّ مَن يدفع الرِّشوة وكذلك مَن يتقبَّلها، فإنَّه اغترَّ بالمال القليل والثَّمن القليل وضيَّع آيات الله وأحكام الله سبحانه وتعالى وشرع الله عزّ وجلّ وحدوده، ولم يُقِم لها وزنًا لقاءَ قليلٍ من المال أو مصلحةٍ من المصالح.

والرِّشوة أكلٌ للسُّحت، وممَّا وصف الله تبارك وتعالى به اليهود ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ [المائدة: ٦٢] ، قد قال غير واحدٍ من أهل التَّفسير: أنَّ السُّحت الّذي هو وصف اليهود أكلُ الرِّشوة. وهذا تفسيرٌ للَّفظ بشيءٍ من أفراده أو ببعض أفراده؛ وهذا يفيد أنَّ اليهود اشتُهِرُوا بالرِّشوة والتَّراشي ، وأنَّ هذا من أوصاف اليهود، ومَن تعاطى الرِّشوة من هذه الأُمَّة ففيه شبهٌ في هذه الخصلة من اليهود وفيه تشبُّهٌ بهم. قد قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام محذِّرًا ومنذرًا: ((لتتَّبِعُنَّ سَننَ مَن كان قبلكم شبرًا شبرا)) ، والرِّشوة كانت شائعةٌ وفاشية ومشهورة في اليهود وكانت صفةً لهم. فمَن فعل الرِّشوة من هذه الأُمَّة ففيه شبهٌ من اليهود في هذه الخصلة الذميمة البغيضة الخطيرة.

قال رحمه الله تعالى :

١٦٧ – عن ابن عمرو رضي الله عنهما مرفوعًا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لعن الله الراشي والمرتشي)) صححه الترمذي.

****

قال: عن ابن عمرو -أي: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما- مرفوعًا: قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((**لعن اللَّه الرَّاشي والمرتشي**)) ؛ الرَّاشي: هو مَن يدفع الرِّشوة، ويقدِّمها للغير. والمرتشي: هو الّذي يقبل الرِّشوة. وأخذ الرِّشوة هو أخذٌ من أجل تغيير مجريات الأمور ، تغيير لمجريات الأحكام. ولهذا كم من المظالم والجنايات وضياع الحقوق وإهدارها وتفويت المصالح تترتَّب على وجود الرِّشوة. ولهذا المجتمع الّذي تكون الرِّشوةُ فيه فاشية تضيع الحقوق تمامًا، ولا يتمكَّن الإنسان أن ينال مصلحته إلاّ بدفع أموال، وأيضًا آخرون يدفعون هذه الرِّشوة لأخذ ما ليس لهم به حقّ ؛ تعدِّيًا على الضُّعفاء في حقوقهم وظلمًا لهم في ذلك. فالشَّاهد: أنَّ الرِّشوة أمرُها خطيرٌ جدًّا، ولهذا جاء فيها اللَّعن والتَّهديد والوعيد لفاعل ذلك.

وقد جاء عن الحسن البصري رحمه الله تعالى أنَّه قال: «إذا دخلت الرِّشوةُ مع الباب خرجت الأمانة مع الكُوَّة»، أي: النّافذة. بمعنى أنَّه إذا وُجِدَت الرِّشوة انتفت الأمانة، ووُجِدَت الخيانة ووُجِدَ الظُّلم ووُجِدَ البغي. ولهذا يقولون: "البراطيل تنصر الأباطيل" ، و«البراطيل» اسم من أسماء الرِّشوة ، «تنصر الأباطيل» أي تنصر الظُّلم. بمعنى أنَّ الرِّشوة إذا وُجِدَت وُجِدَت لنصر الظُّلم، للتَّعدِّي على الحقوق، للبغي على النَّاس لأخذ أموالهم بغير حقّ.

فالرِّشوة أمرها من أخطر ما يكون على المجتمعات؛ تجد بعض الضُّعفاء وبعض المساكين له حقّ من الحقوق، ثمّ يأتي آخر ويدفع رشوةً لمن بيده مثلاً هذا الحقّ أو إيصاله لصاحبه، فيغيِّر مُجريات الأمور ويجعل الحقّ لغير صاحبه ، فكم يكون في هذه الرَّشاوي سواءً كانت مالاً يُدْفَع أو مصلحة تُقَدَّم أو نحو ذلك، كم فيها من الجِناية والتَّعدِّي والظُّلم للآخرين.

قال رحمه الله تعالى :

١٦٨ – ولأحمد عن ثوبان رضي الله عنه مرفوعًا: ((لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي والرائش)) يعني الذي يمشي بينهما.

****

الرّائش: هو الوسيط بين الراشي والمرتشي؛ يغري هذا بقَبول الرِّشوة، ويغري ذاك بدفعها، ويعمل على تحديد مثلا المبلغ أو المصلحة الَّتي تُقَدَّم من الرّاشي للمرتشي، فهذا وسيط بينهما، وهذا وسيطٌ في الظُّلم وفي الحرام، ومتعاونٌ على الإثم والعدوان، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢] .

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ هدايا الأمراء غلول

١٦٩ – عن أبي حميد قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً على الصدقة، فلما قدِم قال: «هذا لكم وهذا أُهدي إلي»، قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما بال الرجل نستعمله على العمالة مما ولَّانا الله، فيقول: هذا لكم وهذا أُهدي إلي! فهلّا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فينظر هل يهدى إليه شيء أم لا؟ والذي نفس محمد بيده، لا يأخذ أحد منكم شيئًا بغير حقه إلا لقي الله وهو يحمله يوم القيامة، إن كان بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تَيْعر. ثم رفع يديه حتى رأينا عُفرة إبطيه، ثم قال: اللهم هل بلغت؟)) قالها ثلاثا.

****

قال رحمه الله تعالى: «**بابٌ هدايا الأمراء غُلول**» ؛ ومعنى كونها غلول: أي أنَّها أخْذٌ للمال بالباطل وبغير حقّ، ولا يحلّ لهم أخْذ هذه الهدايا وقَبولها؛ لأنَّهم قائمون على مصالح للأُمَّة ، واسْتُرْعُوا على هذه الأمانة، وقاموا أيضًا على الحقوق ورعاية حقوق النَّاس ومصالح النَّاس ، فأخْذ الهدايا غلولٌ لأنَّ هذه الهدايا لها أثرها في النُّفوس، لها فعْلتها في القلوب، ولهذا مَن يقدِّم الهديَّة وتكون الهديَّة مثلاً ثمينة، فيكون لها الأثر والوقع في نفس العامل أو الأمير أو المسؤول، فيكون له حظْوة، ويكون لطلبه شأن ومكانة. ولهذا لما كان لهذه الهدايا أثرها ولها ضررها وخطرها جاءت الشَّريعة بمنع ذلك، وتحذير العمَّال الَّذين هم الأمراء ومَن يلون أمور النَّاس ومصالح النَّاس وحقوق النَّاس، جاءت الشَّريعة بتحذير هؤلاء من قَبول الهدايا، وأنَّ الواحد من هؤلاء لو كان في بيته ليس قائمًا على مصلحة من مصالح المسلمين لم يأته شيء من الهدايا ، وإنَّما هذه الهدايا أشياء لها اعتبارٌ معيَّن ولها مقصد معيَّن، فجاءت الشَّريعة بحسم هذا الأمر قطعًا لدابر الشَّرّ وقطعًا لدابر ضياع الحقوق وإهدارها.

قال: **عن أبي حُمَيْد قال**: «**استعمل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم رجُلاً على الصَّدقة**» ؛ ومعنى استعمله على الصَّدقة: أي كلَّفه عليه الصَّلاةُ والسَّلام بأن يكون جابيًا للصَّدقات.

«**فلمّا قَدِم قال: هذا لكم وهذا أُهْدِيَ إليّ**» ؛ هذا لكم يعني: هذه الصَّدقات الَّتي كُلِّفت بجمعها. أمَّا هذا: فهذا شيء أُهدِيَ إليّ؛ أي: ليس لكم وإنَّما هو لي، أخذته هديَّة.

فقال النّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم: ((**ما بال الرَّجل نستعمله على العِمالة ممَّا ولاّنا الله، فيقول: هذا لكم وهذا أُهْدِيَ إليّ! فهلاّ جلس في بيت أبيه أو بيت أمِّه فينظر هل يُهْدى إليه شيء أم لا؟**)) أي: أنَّ هذا الرَّجل لولا قيامه على هذه المصلحة وعلى هذه الحقوق من حقوق المسلمين لم تُقَدَّم له الهدايا، وهذه الهدايا الَّتي تُقَدَّم للعمَّال لها أثر على نفوسهم، خاصَّةً كلَّما ثَمُنَت الهديَّة وعَظُم شأن الهديَّة كان لها الوقع في نفسه، والنّفوس ضعيفة وتتأثَّر، ولا سيَّما إذا وافق أيضًا هذا الأمر حاجةً عند المرء فكم لها من الأثر على نفسه؟ ولهذا قال النّبيّ عليه الصَّلاةُ والسَّلام ((**فهلاّ جلس في بيت أبيه أو بيت أمِّه فينظر هل يُهدى إليه شيء أم لا؟**)) ؛ ولهذا بعض النَّاس يكون على مصلحة من المصالح المهمَّة فتكثر له الهدايا، فإذا انتهى من المصلحة وأصبح متقاعدًا حتى السَّلام ما يسلِّمون عليه، فضلاً عن أن يُقَدَّم له شيء من تلك الهدايا الَّتي كانوا يقدِّمونها له. فالهديَّة: أصبحت أمرًا مرتبطًا باعتبار معيَّن وهو قيامه على هذه المصلحة، وإذا جلس في بيته ما يأتيه شيء من هذه الهدايا؛ لأنَّه ليس قائمًا على هذه المصلحة. إذًا هذه هديَّةٌ لها اعتبار أو تعلُّق بهذه المصلحة، فليست مقدَّمة مثل ما يقول العوام من أجل سواد عيون هذا الشَّخص؛ أبدًا، وإنَّما هي مقدَّمة من أجل مصلحة هو قائمٌ عليها، ولولا قيامه على هذه المصلحة لم تُقَدَّم له. وهذا معنى قول النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم: ((فهلاّ جلس في بيت أبيه أو بيت أمِّه فينظر هل يُهدى إليه شيءٌ أم لا؟)).

((**والَّذي نفسُ محمَّدٍ بيده لا يأخذ أحدٌ منكم شيئًا بغير حقّه**)) أي ومن ذلكم هذه الهدايا هي أخذٌ للمال بغير حقّ ((**إلاّ لقي اللَّه وهو يحمله يوم القيامة**)) يحمله: أي على رقبته. والمظالم: يأتي الظَّلمة يوم القيامة يحملونها على رقابهم أيًّا كانت ، سواءً كانت أموالاً، أو كانت أملاكًا، أو كانت رِقاعًا، أو كانت بهيمةً، أيًّا كانت يأتي يوم القيامة يحملها على رقبته؛ خزيًا له وفضيحة على رؤوس الأشهاد وبين العالمين، يأتي يوم القيامة يحمله.

((**إن كان بعيرًا**)) يعني الّذي أخذه ظلمًا ؛ يأتي يحمل البعير على رقبته ((**له رُغاء**)) ؛ بعيرٌ على رقبته يأتي يوم القيامة والبعير له رُغاء؛ خزيًا له وفضيحة.

((**وإن كان بقرةً لها خوار، أو شاةً تيْعَر**))؛ كلّ هذه يأتي يحملها على رقبته.

«**ثمّ رفع يديْه حتى رأينا عُفْرَةَ** -أي: بياض إبطيْه- **ثمّ قال: اللهمَّ هل بلَّغت؟ قالها ثلاثًا**» .

وجاء في صحيح البخاري أنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلام ذكر الغلول يومًا وحذّر منه وقال صلوات اللَّه وسلامه عليه: ((لا يأتِيَنَّ أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته بعيرٌ له رُغاء فيقول: يا رسول اللَّه أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك)). انظر هنا في هذا الحديث قال: ((اللهمَّ هل بلَّغت؟)) ورفع يديه حتى رأى الصَّحابة عُفْرَةَ إبطيْه صلوات اللَّه وسلامه عليه. قال: ((لا يأتيَنَّ أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته بعيرٌ له رغاء فيقول: يا رسول اللَّه أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك . لا يأتينَّ أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته فرسٌ له حَمْحَمة فيقول: يا رسول اللَّه أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا يأتينَّ أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته بقرةٌ لها خوار فيقول: يا رسول اللَّه أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا يأتينَّ أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته شاةٌ لها ثغاء فيقول: يا رسول اللَّه أغثني فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا يأتينَّ أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته رِقاعٌ تخفق -أي فيها مظالم وتعديَّات- فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك. لا يأتينَّ أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته صامت -والعرب تقسِّم المال إلى قسمين: صامت، وناطق. الصّامت مثل: الذَّهب والفضَّة ليس له صوت. والنَّاطق: ما له صوت، ولهذا مرّ معنى «له خوار، له رغاء، له ثغاء، له حمحمة» هذه أموال ناطقة لها صوت- قال: لا يأتينَّ أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته صامت -أي: ذهب وفضَّة- فيقول: يا رسول اللَّه أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئًا قد أبلغتك)).

فالنّبيّ عليه الصَّلاةُ والسَّلام حذَّر من الظُّلم، حذَّر من التَّعدِّيات، حذَّر من الغلول، حذَّر من الرَّشاوي، حذَّر من الرِّبا، حذَّر من أنواع هذه المظالم والتَّعديَّات، فكلّ مَن يظلم يأتي يحمل هذه المظالم على رقبته يوم القيامة أيًّا كانت، ولهذا ذكر البعير، وذكر الفرس، وذكر البقر، وذكر الشَّاة، وذكر الرِّقاع، وذكر الذَّهب والفضَّة، فصَّل عليه الصَّلاةُ والسَّلام مُحَذِّرًا للأمَّة ومنذرًا من الظُّلم والتَّعدِّي على حقوق الآخرين.

والّذي يضيع من الإنسان في هذه الحياة الدُّنيا لا يضيع يوم القيامة، كما قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: ((لَتُؤدَّنَّ الحقوق يوم القيامة)) ، ويوم القيامة لا يكون فيه دنانير ولا دراهم ، الدَّنانير والدَّراهم تنتهي في هذه الحياة الدُّنيا،

يوم القيامة لا يوجد دنانير ولا يوجد دراهم فكيف تُؤدَّى الحقوق؟ مَن أُخِذ منه بقر، أو أُخِذَ منه غنم، أو أُخِذَ منه أراضي، أو أُخِذ منه أموال ظلمًا، كلّ هذه لا تكون موجودةً يوم القيامة، هذه الأموال كلُّها تنتهي في الدُّنيا، فكيف تُؤدَّى؟

جاء في الحديث الصَّحيح حديث عبد الله بن أُنَيْس قال عليه الصَّلاةُ والسَّلام: ((يحشر الله النَّاس يوم القيامة عُراةً حُفاةً بُهْمًا)). قالوا: وما بُهْمًا يا رسول الله؟ أي: عراةً معروف، حفاةً معروف، فما معنى بهما؟ قال: ((ليس معهم من الدُّنيا شيء)) كلّ الأموال الَّتي كانت عندهم حتى مَن كان عنده مثل مال قارون لا يكون معه شيء منه يوم القيامة ولا درهم واحد. قال: ((ثمّ ينادي الله عزّ وجلّ بصوتٍ يسمعه مَن بَعُد كما يسمعه مَن قَرُب. يقول: أنا الملِك أنا الدَّيَّان، ثمّ يقول سبحانه وتعالى: لا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنَّة أن يدخل الجنَّة ولأحدٍ من أهل النَّار عليه مظلمة حتى أقتصَّها منه، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل النَّار أن يدخل النَّار ولأحدٍ من أهل الجنَّة عليه مظلمة حتى أقتصَّها منه. قال: حتى اللَّطمة)). قالوا: «يا رسول الله! وكيف ذاك وهم إنَّما جاءوا بهمًا! » ، كيف يكون القصاص؟ مَن أخذ الأموال لا يأتي بالأموال مالكًا لها، وإنَّما يأتي يحملها يوم القيامة خزيًا وفضيحةً على رؤوس الأشهاد، هذه المظالم، وإذا كثُرَت كثُرَ ما يحمل على عاتقه، ((ومَن ظلم قِيد شبرٍ طُوِّقَه يوم القيامة من سبعة أراضين)) طَوْقًا على عنقه. فهذه المظالم يأتي يحملها خزيًا وفضيحة، لكن القصاص بماذا يكون؟ قالوا: «كيف يا رسول الله، وهم إنَّما جاءوا بهمًا؟!» قال: ((بالحسنات والسَّيِّئات)).

ما معنى «بالحسنات والسَّيِّئات»؟ يوضِّحه حديث أبي هريرة في صحيح مسلم قال النَّبيُّ عليه الصَّلاةُ والسَّلام: ((أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟)) قَالُوا «الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ». فَقَالَ ((إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ)) . فهذا معنى قوله في الحديث المتقدِّم ((بالحسنات والسَّيِّئات)). فالمظالم تُؤدَّى يوم القيامة لأصحابها، وكلُّ ظالمٍ يأتي يحمل المظالم على رقبته خزيًا للعالمين وفضيحة على رؤوس الأشهاد، ثمّ يبوء بعاقبة إثمه، ثمّ أيضًا تذهب حسناته للآخرين ، وإن فَنِيَت حسناته قبل أن يَقضي ما عليه أُخِذَ من سيِّئاتهم فَطُرِحَ في النَّار.

أروي لكم طريفةً مفيدة، قصة طريفة حصلت لي مرَّة ؛ مرَّةً في إحدى البلدان استأجرتُ غرفةً في فندق، وكان من طريقتهم دفعُ تأمين حتى لو حصل في الغرفة شيء من ... ودفع أُجرة الغرفة، فدفعت الأُجرة ودفعت التَّأمين، وهي الغرفة الوحيدة الَّتي بقيت في المكان، لما دخلت الغرفة وإذا الرَّجل الذي كان ساكنًا قبلي في الغرفة مدخِّن، وإذا الغرفة —والعياذ بالله– لا تُطاق، ولا يستطيع أن يرتاح الإنسان فيها، فرجعت إلى الشَّخص قلت له: أنا ما أستطيع أن أسكن في هذه الغرفة، مليئة برائحة الدُّخّان وما أستطيع، فأعد لي حقّي أبحث عن مكان آخر. قال: أمّا التَّأمين أعطيك إيَّاه، أمَّا الأُجرة لا؛ لأنَّها دخلت في الحاسب وفي الجهاز وأشياء من هذا القبيل، أنا ما أعطيك

الأُجرة. قلت: إذًا أعطني التأمين. فأعطاني التَّأمين. ثمّ قلت له: الحقّ المتبقّي عندك هو باقٍ لي وراجعٌ لي لم يضع عليّ أبدًا، وما ضاع في الدُّنيا لا يضيع في الآخرة وباقٍ لي، هذا مقابل ماذا تأخذون هذا؟! السَّلام عليكم ومشيت. لما مشيْت بحثت في أماكن حتى وجدت، فالرّجل أخذ يلفّ يبحث عنّي ويسأل حتى وجدني في فندق آخر، وقال: هذا حقّك.

أقصد من ذلك أنَّ الإنسان لو وعى هذا الأمر أنَّ الحقّ لا يضيع، حق الإنسان لا يضيع إن أُخِذَ قهرًا وظلمًا وبغيًا في الدُّنيا أُستُعيد يوم القيامة، والإنسان يوم القيامة أحوج إلى الحسنات أحوج منه إلى ريالات هذه الدُّنيا ، أحوج إلى الحسنات، وحاجته إلى الحسنات أكثر من حاجته إلى المال، المال يأتي ويذهب في الدُّنيا، ولكن حاجة الإنسان إلى الحسنات، ولهذا الشَّيء الذي يضيع في الدُّنيا ما يضيع، هو إن ضاع في الدُّنيا باقٍ للإنسان يوم القيامة، الحقوق كلُّها تُؤدّى يوم القيامة، ولو أنَّ الإنسان عندما يريد أن يسيء إلى الآخرين أو يتعدَّى على حقوق الآخرين يدرك أنَّ هذا الحقّ الّذي أخذه من الآخرين هو باقٍ لصاحبه، حتى وإن افتقده ظلمًا في الدُّنيا هو باقٍ لصاحبه سيأخذه وافيًا يوم القيامة. يوم القيامة يُقْتصُّ للشَّاة الجَلحاء من الشَّاة القرناء، فكيف بالإنسان الّذي له عقل؟! الآن الشَّاة الَّتي تُقْدِم وتنطح الأخرى بقرنها يُقتصّ لهذه من هذه يوم القيامة، تُؤدَّى الحقوق، مع أنَّها شاة لا تعقل، فكيف بأُناس عندهم عقل ويتعدَّون على الأموال ويظلمون النَّاس ويستلبون أموالهم بغير حقّ !!.

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ الهدية على الشفاعة

١٧٠ – عن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا: ((من شفع لأخيه شفاعة فأهدى له هدية عليها فقبِلها فقد أتى بابًا من أبواب الربا)) رواه أبو داود. ورواه إبراهيم الحربي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: ((السحت أن يطلب الرجل الحاجة فتُقضى له، فيُهدى إليه فيقبلها)). وله عن مسروق عنه: «من ردّ عن مسلم مظلمة فأعطاه عليها قليلاً أو كثيرًا فهو سحت» قلنا: يا أبا عبد الرحمن ما كنا نرى السحت إلا الرشوة في الحكم! قال: ذلك كفر ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

****

قال رحمه الله تعالى: «**بابٌ الهديَّة على الشَّفاعة**» ؛ الشَّفاعة: الأصل أنَّها إحسان للآخرين في مساعدته للوصول إلى حقّ من حقوقه . أمَّا إذا كانت شفاعةً لأخذ ما ليس له لِظلم الآخرين فهذه شفاعة جائرة ظالمة، وللشّافع كِفل من العقوبة ونصيب من العقوبة في شفاعته في الظُّلم، وعمله هذا من التَّعاون على الإثم والعدوان.

فالشَّفاعة الأصل أنَّها إحسان للآخرين. وسُمِّيَت شفاعة: من الشَّفع الّذي هو ضدّ الوتر؛ لأنَّ الشَّافع ضمّ صوته وكلمته إلى صوت صاحب الحقّ معونةً له في الوصول إلى الحقّ .

فيقول رحمه الله: «**بابٌ الهديَّة على الشَّفاعة**» ؛ الشَّفاعة لا تخلو من حالتين:

١- إمَّا شفاعة في حقّ؛ حقّ للإنسان يريد أن يحصل عليه أو أمر من الأمور الَّتي هي حقٌّ يريد أن يحصل عليه، فطلب وجيهًا أو شخصًا له مكانة يشفع له في حصول هذا الحقّ ؛ فهذا العمل من الشَّافع باب من أبواب الإحسان، باب من أبواب التَّعاون على البرِّ والتَّقوى ، له أجره عند الله، يقول عليه الصَّلاة والسَّلام: ((اشفعوا تُؤجروا))، له الثّواب على هذا العمل، فهو باب من أبواب الخير والعمل الصّالح.

٢- وإمَّا أن تكون الشَّفاعة شفاعة في باطل؛ مثل: أن يُقَدَّم الرَّديء على الفاضل الخيِّر في مثلا عمل من الأعمال أو مهمَّة من المهمَّات، فيشفع له شافعٌ في أن يُقَدَّم على مَن هو أحسن منه مثلاً ، فهذه الشَّفاعة ظلم.

- فإذا أُخِذَ الهديَّة على الشَّفاعة، إن كان أخذ الهديَّة على الشَّفاعة في ظلم فهذا حشفٌ وسوء كيلة، شفَع في ظلم، وأدَّت شفاعته إلى تعدّي على الحقّ وتقديم -مثلاً-مَن ليس أهلاً ، أو حصول هذا المشفوع له ما ليس له فيه حقّ، فهي ظلم، فعلى ماذا يأخذ هذه الهديَّة؟ على معاونته على الظُّلم؟ على معاونته على الإثم والعدوان؟!
- وأمَّا إذا كانت شفاعته في أمرٍ حقّ، فعلى ماذا يأخذ الهديَّة؟! أخْذٌ لها بغير مقابل؛ لأنَّ هذا باب من أبواب الإحسان، ((اشفعوا تؤجروا))، أعطاك الله جاه أعطاك الله مكانة فشفعتَ له وأجرك على الله سبحانه وتعالى ، فإذا أخذت منه شيئًا مقابل شفاعتك أخذتَ منه مالاً بدون عِوَض، بدون مقابل؛ فيكون أخْذ الإنسان لهذا المال أخذٌ بغير حقّ.

قال: **عن أبي أُمامة مرفوعًا: ((مَن شفع لأخيه شفاعة فأهدى له هديَّة عليها))** أي: على هذه الشَّفاعة، من أجل هذه الشَّفاعة، مثل أن يقول له: أنا حقيقة كان موضوعي متأخِّر وكذا وأنت ساعدتني وخدمتني وكلَّمتَ فلانًا، وهذه هديَّةً لك بهذه المناسبة، ((فأهدى له هديَّةً عليها)) أي: على هذه الشَّفاعة **((فَقَبِلَها فقد أتى بابًا من أبواب الرِّبا))** ، لماذا يكون أتى بابًا من أبواب الرِّبا؟ لأنَّ كُلاًّ من المرابي وهذا أخذ مالاً بغير مقابل بغير حقّ؛ المرابي أخذ ممن تعامل معه بالرِّبا مالاً بغير مقابل ، يقول له مثلاً : أُقرضك ألف ريال تسددها لي ألف ومئتين، المئتين هذه بدون مقابل، لا حقّ له فيها. مثله هنا قال: ((أتى بابًا من أبواب الرِّبا))؛ لأنَّه أخذ على شفاعته مالاً، وهذا المال الّذي أخذه بدون مقابل، ليس له عِوض، يقبل الثمن ولم يقدِّم شيئًا لينال به هذا الثّمن. فهذا وجه الشَّبه بين مَن يقبل الهديَّة على الشَّفاعة ومَن يرابي ، أي أنَّ كُلاًّ منهما أخذ مالاً بدون مقابل.

قال: رواه أبو داود، ورواه إبراهيم الحربي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: **((السُّحت أن يطلب الرَّجل الحاجة فتُقْضى له، فيُهدى الهديَّة فيقبلها))** وهذا مثل الّذي قبله، وسمَّاه ابن مسعود «سحتًا». وفي الحديث يقول النّبيّ الكريم عليه الصَّلاة والسَّلام: ((كلُّ جسدٍ قام على السُّحت فالنَّار أولى به)).

قال: وله عن مسروقٍ عنه ((**مَن ردَّ عن مسلمٍ مظلمة، فأعطاه عليها قليلاً أو كثيرًا فهو سحت**)) أي: عاون وساعد وشفع له حتى رُفِعَت عنه المظلمة، ردّ عنه مظلمة قال: ((فهو سحت)) أي: أكْلٌ للأموال بالباطل.

«**قلنا: يا أبا عبد الرَّحمن ما كنَّا نرى السُّحت إلاّ الرِّشوة**» ؛ انظر إلى هذه المقولة «ما كنّا نرى السُّحت إلاّ الرِّشوة»؛ يعني: من النُّقول الكثيرة عن السَّلف في تفسير السُّحت في قوله ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾[المائدة: ٦٣]: الرِّشوة؛ لأنَّها من أبرز وأشنع صور السُّحت ، ولهذا فُسِّرت الآية بها عند كثيرٍ من أئمَّة السَّلف رحمهم الله تعالى. لكن لا يعني ذلك الحصر ، وهذا كثير في تفاسير السَّلف يفسِّرون الشَّيء ببعض أفراده أو بأبرز أو أشهر أفراده أو نحو ذلك.

قال: «**قلنا يا أبا عبد الرّحمن ما كنَّا نرى السُّحت إلاّ الرِّشوة في الحكم. قال: ذلك كفرٌ** ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة: ٤٤]» ؛ أي: هذا ضرْب من ضروب الكفر أن تُضيَّع أحكام الله سبحانه وتعالى وحدوده بهذه الرَّشاوي الَّتي يقبلها مَن هو قائمٌ على هذا الحدّ من حدود الله سبحانه وتعالى . وقد جاء عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قال: «كفرٌ دون كفر» أي: كفرٌ دون الكفر الأكبر النّاقل عن المِلَّة. وثَمَّةَ صور عديدة في هذا الحكم تكون كفرًا دون الكفر الأكبر، وهناك صور أيضًا يكون فيها الحكم بغير ما أنزل الله ناقلاً من المِلَّة.

قال رحمه الله تعالى :

بابٌ الغُلول

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ الآية [آل عمران: ١٦١].

١٧١ – عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما فتح الله خيبر انطلقنا إلى الوادي ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدٌ له يقال له مِدعم ، فلما نزلنا الوادي رُمي بسهم فمات، فقلنا هنيئًا له بالشهادة يا رسول الله، فقال: ((كلا والذي نفسي بيده، إن الشمْلة التي أخذها يوم خيبر لتلتهب عليه نارًا، أخذها من المغانم لم تُصبها المقاسِم. ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال: يا رسول الله أصبتُ يوم خيبر، فقال: شراكٌ أو شراكان من نار)) أخرجاه.

****

قال رحمه الله تعالى: «**بابٌ الغُلول**» ؛والغلول هنا المراد به: الأخْذ من الغنيمة قبل أن تُقْسم . الأخذ من الغنيمة أي: يسرق منها أو يستلب شيئًا منها أو يُخفي شيئًا منها يخصُّ نفسه به قبل أن تُقْسَم الغنيمة.

قال: **وقول الله تعالى:** ﴿**وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ**﴾ أي: حاشاهم أنبياء الله ويمتنع في حقِّهم أن يكون فيهم مَن يغُلّ، هذا أمرٌ لا يكون ولا يقع، ويستحيل أن يقع من أنبياء الله الذين هم صفوة الله وخيار عباد الله ، فهذا تبرئة وتنزيه للأنبياء أنَّه لا يقع شيء من ذلك من نبي ، فهم صفوة الله وخيار عباد الله سبحانه وتعالى يمتنع ويستحيل أن يقع من واحدٍ منهم غلول ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغُلَّ﴾ .

ثمّ ذكر الله عزّ وجلّ حكم الغلول وعقوبة مَن يقع في الغلول قال: ﴿**وَمَنْ يَغْلُلْ**﴾ أي: من النَّاس ويقع في الغلول ﴿**يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾؛ أي: هذا عقوبته وهذا وعيد الله سبحانه وتعالى لمن غلّ أنَّه يأتي بما غلَّ يوم القيامة. ومعنى ﴿يأت بما غل يوم القيامة﴾ كما تقدَّم؛ يأتي يحمل الّذي غلَّه يوم القيامة، وأشرت إلى الحديث، حديث أبي هريرة لما ذكر النّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم الغلول وعظّم أمره قال: ((لا يأتينَّ أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته...)) وذكر أشياء مرَّت، ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي يأتي يوم القيامة يحمل هذا الّذي غلَّه على رقبته، ويعاقبه الله سبحانه وتعالى بكلِّ شيء غلَّه، قلَّ ذلك أو كثُر.

قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((**لمَّا فتح الله خيبر انطلقنا إلى الوادي، ومع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عبدٌ يُقال له مِدْعَم، فلمّا نزلنا الوادي رُمِيَ بسهم فمات**)) على إثر الفتح، بعد الفتح بقليل رُمِيَ بسهمٍ فمات.

«**فقلنا: هنيئًا له بالشَّهادةِ يا رسول الله**». **فقال النّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم** ((**كلاّ، والّذي نفسي بيده، إنَّ الشَّمْلة الَّتي أخذها يوم خيبر لتلتهب عليه نارًا أخذها من المغانم**)) ؛ شملة: الشَّملةُ غطاء يُلتحف به. ما أخذ أموالًا طائلة، أخذ شملة! غطاء لحاف يتغطَّى الإنسان به، غلَّها أخذها قبل أن تُقسم الغنيمة، أخفاها خصّ نفسه بها قبل أن تُقسَم الغنيمة. قال: شملة.

فقال النّبيّ: ((**والّذي نفسي بيده إنَّ الشَّملة الَّتي أخذها يوم خيبر لتلتهب عليه نارًا، أخذها من المغانم لم تصبها المقاسم**)) ؛ هذه الغزوة –أيضًا– غزوة خيبر حصل فيها قصَّة رجل كما في الصَّحيح أبلى في النِّكاية في الكفّار بلاءً عظيمًا، وحصل على يديه شيء عظيم في النِّكاية بالكفّار، فقال بعض الصَّحابة: «هو من أهل الجنَّة»، فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: ((هو من أهل النَّار))، تعجَّب الصَّحابة! رجل في مجابهة للكفار وصمود في ملاقاة الكفّار، وحصل منه أمر عظيم في الفتك بهم ، حتى إنَّ الصَّحابة من شدَّة إعجابهم ببلائه العظيم قالوا: «هو من أهل الجنَّة»، قال النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم: ((هو من أهل النَّار)) ، وتعجَّب الصَّحابة من ذلك. فأحد الصَّحابة أخذ يتتبَّع هذا الرَّجل ويتابع، فأُصيب بضربة في القتال فلم يحتمل ألمها فأخذ السَّيف –

سيف نفسه- ووضعه في نحره وقتل نفسه. فجاء هذا الصَّحابي وقال: «يا رسول الله أشهد أنَّك رسول الله» وذكر قصَّة الرَّجل وأنَّه قتل نفسه.

فمثل هذا الحديث وأحاديث كثيرة أخذ منه العلماء رحمهم الله تعالى: أنَّه لا يُقال لمن قُتِل في المعركة، وملاقاة الأعداء، لا يُقال شهيد هكذا جزْمًا ، والآن سهلة اللَّفظة عند كثير من النَّاس، يقولون استُشهِد فلان، أو الشَّهيد فلان... أو نحو ذلك، بل بعض الأشخاص لا يذكرونه إلاّ بلقب الشَّهيد. وفي صحيح البخاري: «بابٌ لا يُقال فلانٌ شهيد»، وإذا كان هذا رجل، ومع النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وفي غزوة خيبر، وحصل منه نكاية كبيرة بالكفّار حتى إنَّ الصَّحابة قالوا: "هو من أهل الجنَّة" قال النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم: ((هو من أهلّ النَّار)).

والشَّهيد: هو مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العُليا، أي: نيَّته في نفسه وباطنه بينه وبين الله من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا، ومَن يدخلون السَّاحة -ساحة القتال- منهم مَن يُقاتل حميَّة، منهم مَن يُقاتل عصبيَّة، منهم مَن يقاتل طمع في أمور دنيويَّة، ليس كلّ مَن يدخل ساحةَ القتال صافية نيَّته لله، هذا بينه وبين الله.

إذًا مَن يُقتل في ساحة المعركة لا يُجْزَم له بالشَّهادة جزْمًا، مثل أن يُقال: فلان شهيد أو اسْتُشْهِد، وإنَّما يُقال: "نحسبه من الشُّهداء، نرجو أن يكون من الشُّهداء، إن شاء الله أنَّه من الشُّهداء" ، أمَّا أن يأتي بها الإنسان جزْمًا ويقينًا "فلان شهيد" ولا يُنادى إلاّ بهذا اللَّقب فهذا ليس صحيحًا. والنّصوص دلَّت على المنع من ذلك، وأنَّه لا يُقال شهيد، لا يُجْزَم بها؛ لأنَّ معنى جزْم الإنسان بأنَّه شهيد أي: أنَّه في الجنَّة مع الشُّهداء، ﴿مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النِّساء:٣٢] ، والله عزّ وجلّ قال: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [النَّجم: ٣٢] لا يزكّي بعضكم بعضًا. فالأصل ألّا يُقال ذلك ، ومَن حصل منه إحسان في القتال ونحو ذلك يُقال: "نحسبه من الشُّهداء، نرجو الله أن يكون من الشُّهداء، إن شاء الله أنَّه من الشُّهداء" أو نحو ذلك من العبارات الَّتي لا يكون فيها جزم.

قال: ((**إنَّ الشَّمْلة الَّتي أخذها يوم خيبر لتلتهب عليه نارًا، أخذها من المغانم لم تصبها المقاسم**)) لما قال النّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم هذا الكلام، ورأوْا أيضًا من حال الرّجل ما رأوا أدركوا أنَّ الأمر خطير جدًّا.

«**ففزع النَّاس**» انظر الكلمة، «ففزع النَّاس» أي: حصل خوف في القلوب. وهذا أيضًا يُستفاد منه: أهميَّة الدَّعوة والوَعْظ، تذكير النَّاس وتخويفهم، وذكر هذه النُّصوص نصوص الوعيد حتى يرتدع النَّاس ، ولهذا ذكرت أكثر من مرَّة أن الناس يحتاجون هذه الكتب، الكتب الَّتي تتكلَّم عن الكبائر وتحذِّر من الكبائر وتبيّن الوعيد على الكبائر؛ النَّاس تحتاج إليها حاجة ماسَّة جدًّا؛ لأنَّ الإنسان إذا سمع الوعيد حصل له فزع وحصل منه خوف وترك المخالفة.

انظر الآن قال: «**ففزع النَّاس، فجاء رجل بشِراكٍ أو شِراكيْن**» الشِّراك: سِير النَّعل، ظهر النَّعل، جاء بشِراك:

يعني لم يأت حتى بنعل وإنَّما شِراك للنَّعل. قال: «**فجاء رجل بشِراكٍ أو شِراكيْن، فقال يا رسول الله أصبت يوم خيبر» قال: ((شِراكٌ أو شِراكان من نار))**، وهذا فيه: أنَّ هذا الغلول حتى لو كان قليلاً أيضًا في النَّار.

فمثل هذه النُّصوص تُحْدِث في القلب الفزع والخوف من هذه الذُّنوب، من هذه المظالم، من هذه التَّعديَّات، تحدِث للقلب خوف، وتجعل الإنسان ينتبه ويتيقَّظ. ولهذا هذا الرّجل جاء بالشراك يريد أن يتخلَّص منه، قال: «أصبته يوم خيبر»؛ جاء يريد أن يتخلص؛ لأنَّ النّاس فزعت وأدركوا أن الأمر جدُّ خطير.

سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك .

اللهم صلّ وسلِّم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.